خواطر طبيب جلدية

﴿ووُضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾

[الكهف: ٤٩]

الخاطرة الأولى: الصلاة

كم هي متعبةٌ هذه الحياة الدنيا!

سلسلةٌ من المشاغل والمسؤوليات والهموم والتطلعات لا تنتهي أبداً.

التعليم – الوظيفة – المال – الزواج – العائلة – المزيد من المال لتأمين المستقبل.

وكلها ضروراتٍ من أجل العيش والبقاء على قيد الحياة، وإشباعٍ للفطرة التي فطر الله الناس عليها.. لكن حينما تُصبح الدنيا غايةً وليست وسيلةً، وعندما يكون في العقل الباطن الدنيا فقط ولا شيء غير الدنيا، وعندما تكون الدنيا هي الهدف وليست داراً مؤقتةً يسكنها الإنسان ويعمل فيها تمهيداً لدارٍ أخرى أبديةٍ خُلق من أجل إعمارها وبناءها في هذه الدار الفانية..

في مثل هذه الحالات تتحول الدنيا إلى حلقةٍ مفرغةٍ من الكدّ والشّقاء ودوّامةٍ لا تتوقف من الأمانيّ والغُرور ، ولكل إنسان دوّاماته الشخصية التي يدور فيها – أو بتعبير أدقٍ هي التي تدور به – سواء دوّامة المال أو العائلة أو الأصدقاء أو حتى دوّامة اللهو والعبث ، ومن المعلوم أن دوران الجسد المستمر دون توقف يُسبب أعراض الدوار وقد يؤدي لفقدان الوعي ، وتلك أعراضٌ لازمةٌ لأي دورانٍ لا يتوقف ؛ وبالقياس فإن الدوران الرّوحي والعقلي في مشاغل الدنيا يُسبب أعراضاً معنويةً تشابه وتقابل تلك الأعراض الحسّية للدوران الجسدي ..

لذلك كانت لنا أوقاتاً نتوقف فيها عن دوران الحياة للاستراحة من تعبه، وهذه هي أوقات الصلوات الخمس (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)

والحقيقة أنها ليست أوقاتاً للتوقف للراحة فقط بل هي بمثابة شحنٍ للقدرة على الاستمرار في الحياة ولضبط محور الدوران دائماً كي لا يكون دوراناً من أجل الدنيا فقط بل ليكون نافعاً مثمراً ويدور حول محورٍ من التوازن الضروري بين الغاية – الآخرة – والوسيلة – الحياة الدنيا –

وكما يكون نتيجة الشحن (الكهربائي) لأي جهازٍ هو الاستمرار في الأداء والإنتاج، فكذلك الصلاة — ولله المثل الأعلى – هي الشحن (الروحي) للكيان الإنساني؛ فهي صلة مكونات الإنسان من روح ونفس وعقل بربها الذي خلقها وسواها ونفخ فيها من روحه – سبحانه وتعالى –، ولك أن تتخيل معي جهازاً يعمل دون توقّف! ماذا سيحدث له وما مصيره؟! بلا شك التلف والدمار!! وهكذا الحال لمن فرّط في الصلاة فمصيره الهلاك – والعياذ بالله – ، والعكس لمن حافظ عليها فمصيره النجاة – بإذن الله –، فحينما تتأمل في آيات الكتاب وأحاديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ستجد التكرار بعد التكرار بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب للتأكيد على أهمية هذه الفريضة وبيان خطورة تضييعها أو التهاون في إعطاءها نصيبها وإقامتها حق إقامتها.

فعلى سبيل المثال – لا الحصر –:

قال تعالى مُرغّباً:

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)

(أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)

(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)

وقال تعالى مهدّداً:

(فويلٌ للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون)

(فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً)

(ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين)

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

"إن أوّل ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيءٌ قال الربّ عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك"

وفي رواية أخرى: "فإن قُبلت صلاته قُبل منه سائر عمله، وإن رُدت عليه صلاته رُد عليه سائر عمله"

فالصلاة هي العمود الذي بسقوطه يسقط البناء، والصلاة المنجية ليست حركاتٍ ونقراتٍ أو أقوالٍ وتمتماتٍ تُؤدى بغفلةٍ دون فهمٍ أو وعيٍ، بل الصلاة المؤدية للفلاح هي الصلاة الخاشعة (قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون)

ليست من أجل إسقاط الفرض؛ بل صلاةٌ فيها خضوعٌ للقلب واستكانةٌ للجوارح بين يدي الملك – سبحانه وتعالى – تُحدث خضوعاً واستكانةً – بعدها وفيما بينها من أوقاتٍ – في الأفكار والمعتقدات ثم السلوك والأعمال، فهي صلاةٌ (تنهى عن الفحشاء والمنكر)

وحتى تصل الصلاة إلى هذه المرحلة من التأثير والتغيير فإنها تحتاج إلى التدريب والمجاهدة والتربية والتكرار المستمر دون كللٍ أو ملل، فلنقل تدريبٌ في صلاة النافلة والتطوع (قيام الليل) لإتقان صلاة الفرض (الصلوات الخمس)، وليتذكّر طالب الفلاح والنجاة كلما ضعُفت عزيمته وقلّت همته وخارت قواه بأنها العمود وبأنها أول ما يُحاسب به يوم القيامة، وليعلم أن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، فالصلاة نورٌ وهدىً وشفاءٌ وطمأنينةٌ وسكينةٌ وراحةٌ وسعادةٌ.

وما أكثر الباحثين عن تلك النعم الروحية في غير أماكنها من شهواتٍ وملذاتٍ جسديةٍ دنيويةٍ زائفةٍ زيّنها الشيطان للنّفس البشرية لإفسادها وإهلاكها!

وأختم بالآيات – وإن كانت تتحدث عن صلاة الجمعة – التي أرى في تدبرها جيداً وجعلها منهجاً للحياة، أرى في ذلك السبيل الوحيد للخروج من دوّامات هذه الحياة الدنيا:

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا

الخاطرة الثانية: القرآن الكريم

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (100)} [النحل: 97-100]

لكل المهومين والمغمومين الباحثين عن السعادة، مما سبق من أصدق الحديث إليكم فك شفرات الوصول لهذا الكنز الثمين (السعادة)، الكنز الذي يبحث عنه الجميع بلا استثناء، لكنه كأيّ كنز؛ الفائزون في الحصول عليه هم فقط من سلكوا الطريق الصحيح للوصول وأما من سلكوا سواه فلا سبيل لنيلهم هذا الكنز!

الآية الأولى هي معادلة السعادة — باختصار -:

الحياة الطيبة = الإيمان + العمل الصالح

الآيتان الأولى والثانية معا توضّحان معادلة للسعادة بصورة عملية أخرى:

الحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح = القرآن — الشيطان

الثانية والثالثة والرابعة يوضّحون قيماً متساويةً لمفهوم السعادة:

السعادة = قراءة القرآن والاستعاذة بالله من الشيطان قبل القراءة = التخلص من سلطان الشيطان على النفس = زيادة الإيمان بالله والتوكل عليه سبحانه وتعالى

ولتعلموا بأن الشيطان عدوٌ مُضلٌ للإنسان لا يريد له الحياة الطيبة ولا الإيمان ولا العمل الصالح ويتسلّط ويتربّص وأقسم على النيل من الجميع – باستثناء أولئك الذين ليس له عليهم سلطان – وهم كما تبين قرّاء القرآن المستعيذون بالله منه والمؤمنون بالله المتوكلون عليه الذين لا يتولون الشيطان ولا يشركون بالله..

والآن لنعاود قراءة الآيات الأربع السابقة جميعها مرة أو أكثر من ذلك، وللحصول على الفائدة والوصول للفهم لتكن القراءة –كما أمر ربنا – بعد الاستعاذة من الشيطان الرجيم

(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

الخاطرة الثالثة: إصلاح القلوب

يهتم الكثير الناس بمظهرهم الخارجي وإذا ما طرأ على جلودهم أو أجسامهم أي عَرَضٍ فسرعان ما يلجأون للطبيب لمعالجة هذا العرض خوفاً على أنفسهم من ظهور مرضٍ جلديّ قد يكون مُعدياً فينتشر في بقية الجسم أولما قد يسببه من أضرار أخرى. فماذا لو تخيل الناس (مِرآةً) ينظرون إليها فتعكس لهم صور قلوبهم لا صور أجسامهم ومن ثم يحاولون علاج ما سيجدونه من أعراضٍ كما يحاولون علاج أعراض جلودهم وأجسامهم؟! حتماً ستكون حياتهم أكثر صفاءً ومودةً وراحةً وأقل شحناءً وبغضاءً وعدواةً..

للأسف الشديد.. فالحقيقة الغائبة أن الأساس ومدار الفلاح والنجاة سواءً في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة الأخرى ليس على المظهر الخارجي ولكن على الجوهر والقلب

" إن الله لاينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "

(يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. إلا من أتى الله بقلبٍ سليم)

وعلى العكس تماماً فقد يكون المنافق على درجةٍ عاليةٍ من الجمال الظاهري والقوة الجسمانية، (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم).. فلذا كان من بابٍ أولى الاهتمام بصورة القلب – بشكلٍ يوميٍ – كما هو الاهتمام بصورة الوجه والجلد والجسم ، والعناية اليومية بالقلب لا تحتاج للمنظفات والمطهرات ونحو ذلك من المستحضرات الكيميائية أو العلاجات الطبية التي تملأ رفوف المحلات ، بل تحتاج إلى أوراد محاسبةٍ قاسيةٍ ومن ثمّ إلى أوراد استغفارٍ مكثفةٍ ، وتحتاج إلى البحث المتواصل عن عيوب النّفس بالفحص الجّاد ومحاولة علاجها بما يناسبها ، وتحتاج إلى استعانة بالعليم القدير والحكيم الخبير بأوراد صلواتٍ وقيام ليلٍ وأوراد أذكارٍ في الصباح والمساء وأورادٍ قرآنيةٍ ثابتةٍ لتدبّر كلام الله والاجتهاد في تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وتحتاج إلى صحبةٍ صالحةٍ تذكّر بالله وتعين على الخير وتشحن الهمم وتقوّي العزائم ، وكل ما سبق لا يأتي بين عشيةٍ وضحاها أو في يومٍ وليلةٍ ، بل قد يصل إلى أشهرٍ أو سنواتٍ من جهاد النّفس والهوى ونسف ما تراكم من شهواتٍ وعاداتٍ وبناء أخرى غيرها .. والموضوع ليس بالسهل على الإطلاق ، بل يحتاج إلى استشعار تام لخطورته وإيمان عميق بأهميته ومن ثم المسارعة فيه قبل أن يستحفل المرض ويحتاج إلى المزيد من المجهود والوقت في علاجه ، ولا نقول قبل أن نصل لمراحل اليأس والقنوط ، فهذا لدينا وبقدراتنا البشرية الضعيفة القاصرة ، لكن بالاستعانة بالله فلا يأس ولاقنوط أبداً ، فمن رحمة الله الواسعة أنه ما أنزل من داءٍ إلا وأنزل له دواءٌ جَهِله من جَهِله وعَلِمه من عَلِمه ، فهو سبحانه وتعالى على كل شيءٍ قديرٍ ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو قادرٌ على إحياء القلوب بعد موتها ، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، ومن رحمته أنه ينادي المسرفين بالعودة والإنابة إليه و ينهاهم عن القنوط من رحمته التي وسعت كل شيء ويبين أنه يغفر الذنوب جميعا (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) ، لكن المجاهدة في الله وبذل الأسباب هي سر الوصول ، ومن أدمن قرع الباب يُوشك أن يُفتح له (والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين)

الخاطرة الرابعة: النجاح في الابتلاءات

ما أغلق الله على عبدٍ باباً بحكمته إلا فتح له بابين برحمته!!

(وربك الغنيّ ذو الرحمة)، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)، (بيدك الخير إنك على كل شيءٍ قدير)

فعين الخير هو ما أخبر به المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الشريف:

"عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن"

هذا لأن هذه الحياة الدنيا ووجودنا فيها هو في الأساس للابتلاء

(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم)، (إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه)، (ونبلوكم بالشّر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون)

ففي هذه الحياة وفي كل يومٍ بل في كل موقفٍ والأصح أنه في كل لحظةٍ من لحظاتها يعيش كل منّا ابتلاءً مُعيّناً، والنجاح فيه يكون بالفهم والتفكر في قدر الله ثم الصبر أو الشكر..

فالنجاح الحقيقي هو الرضا عن الله والرضا بقضائه وقدره، والفشل عكس ذلك من تسخّطٍ وجزعٍ ويأسٍ وقنوطٍ..

الغفلة عن الله والجهل به من أسباب ضعف الإيمان الذي من أركانه الإيمان بالقدر خيره وشرّه، الغفلة وقلة الذكر والصلاة بلا حضور قلبٍ ولا تدبّرٍ للذكر أو القرآن تجعل الطريق ممهداً سهلاً لتسلط الشيطان ووساوسه لليأس من رحمة الله والغفلة عن أسمائه وصفاته: الرحيم – الكريم – اللطيف – الوهاب – الودود – الحكيم – الخبير – الغفور – الحليم – الشكور – الغني.. لكن بذكر الله وتذكّر أسمائه وصفاته وحُسن الظنّ به ومعاينة جزاء الصابرين (إن الله مع الصابرين) ، (إنما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب) ، (وبشّر الصابرين) ، أو معاينة جزاء الشاكرين (وسنجزي الشاكرين) ، (لئن شكرتم لأزيدنّكم) ، (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) ، ساعتها ستكون للحياة صورة أخرى مغايرة تماما عن صورة الغفلة القاصرة التي تنظر للأمور بسطحية كثيرا ما تكون كئيبة حزينة أما تلك النظرة بعين الرضا والعلم بالمدبر ستكون الصورة أعمق وأوضح وبلا شك أجمل وحين تدقيق النظر أكثر وأكثر ستُشاهد بين خبايا الصورة جوانباً كثيرةً مشرقةً تبعث على الأمل والحياة.

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين)

(ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار)

الخاطرة الخامسة: حكمة الله

(ولو يُعجّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقُضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون)

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبيرٌ بصير)

(وكل شيءٍ عنده بمقدار)

(وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدرٍ معلوم)

(إنّا كل شيءٍ خلقناه بقدر)

(إنّ ربي لطيفٌ لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)

(الله لطيفٌ بعباده يرزق من يشاء وهو القوّي العزيز)

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة)

هذا هو الله سبحانه بحكمته وعزّته وقهره وأيضاً برحمته وكرمه ولطفه..

لكنّ الإنسان:

(خُلق الإنسان من عجل)

(ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً)

(إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً)

(إن الإنسان لربه لكنود)

(إنه ليؤوسٌ كفور)

(إن الانسان لظلومٌ كفّار)

(قُتل الإنسان ما أكفره)

(كلّا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى)

يمنع الله عنّا أمنياتٍ بحكمته ونحن نريدها بجهلنا.

هذه الأمنيات كثيرةٌ وتختلف من إنسانٍ لآخر.

زواج، مال، سفر، شهادة، فرصة عمل.

وهذه الأمنيات قد تكون سبب للهلاك المادي والحسّي في الدنيا بالمصائب – أو حتى الموت – أو تكون سبب للخسران الروحي أو المعنوي للدين بالكبر على الخلق – أو حتى الكفر بالله والعياذ بالله –

" ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس "

" من أصبح منكم مُعافىً في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه فقد حِيزت له الدنيا بحذافيرها "

هذا في الدنيا..

لكن ماذا عن الآخرة؟!

(وللآخرة خيرٌ لك من الأولى)

(والآخرة خيرٌ وأبقى)

(والآخرة خيرٌ لمن اتقى ولا تُظلمون فتيلاً)

(والآخرة عند ربك للمتقين)

(ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أفلا تعقلون)

(ولدار الآخرة خيرٌ ولنعم دار المتقين)

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيراً لنا وتوفّنا ما علمت الوفاة خيراً لنا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا أواخرها وخير أيامنا يوم أن نلقاك وأنت راضٍ عنّا.

الخاطرة السادسة: الاستغفار والتوبة

إذا واجهتك مصيبةٌ فسارع بالاستغفار والتوبة "ما وقع بلاءٌ إلا بذنبٍ وما رُفع إلا بتوبة"، فإنما هو تنبيهٌ ربّانيٌ لك بالرجوع والعودة، أو هو رفعٌ في الدرجات وزيادةٌ في الحسنات، فلا تحزن ولا تقنط ولا تيأس..

ذنوبنا وسيئاتنا لا حصر لها – نعلم منا الكثير ونجهل الأكثر –، فالذنوب لا تقتصر على عدم أداء الفرائض – كالصلاة – في وقتها أو بدون خشوع فقط، ولا تقتصر على ترك الواجبات، ولا تقتصر على فعل المحرمات كالنظر المحرم والغيبة! بل تمتد لتشمل أبعاداً خفيةً كثيرةً كالغفلة، وكثرة الضحك، وفضول الكلام، وفضول النّظر، وفضول النوم، وفضول الأكل والشرب، وغيرها من المعاصي والذنوب الخفية كأمراض القلوب من الرياء والنفاق والحسد والحقد والكبر والعُجب وكلها سبب في قسوة القلب والرين والطبع عليه (فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلالٍ مبين)، وما ضُرب على عبدٍ بعقوبةٍ أشدّ من قسوة القلب!

تمتد الذنوب إلى كفر النعم وأيضاً تمتد إلى الجزع والتسخط عند المصائب، وكم من نعمة أنعم الله بها علينا فقل له عندها شكرنا؟! (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفّار)، (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفورٌ رحيم)

وكم من مصيبة ابتلاها بنا الله فقل له عندها صبرنا؟!

كان المعصوم أشرف الخلق – صلى الله عليه وسلم – يستغفر الله في اليوم ويتوب إليه أكثر من مائة مرة.

فكم نستغفر الله في يومنا ونحن على ما نحن عليه من تقصير وتفريط؟!

أخشى أن نقول (يا حسرتى) عندما توضع الموازين القسط ليوم القيامة.

أخشى أن نقول (يا ويلتنا) عندما يوضع الكتاب يوم الحساب.

عندما نكتشف يوم الحسرة أن لنا ذنوبا قد نسيناها ولكن... أحصاها الله.

(أحصاه الله ونسوه والله على كل شهيد)

وتأمل قول الله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)

وتأمل قول الله تعالى: (ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)

اللهم تب علينا لنتوب.

" استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه "

الخاطرة السابعة: النعم

(وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفورٌ رحيم)

(وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفّار)

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة)

الحمد لله على نعمه الكثيرة وآلاءه العظيمة

فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وما قدرناك حق قدرك..

اللهم لك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالإيمان ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالمال والأهل والمعافاة، لك الحمد على كل نعمة أنعمتها علينا من قديمٍ أو حديثٍ أو سرٍ أو علانيةٍ أو عامةٍ أو خاصةٍ ما علمنا منها وما لم نعلم، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملىء السماوات وملىء الأرض وملىء ما بينهما وملىء ما شئت من شيءٍ بعد..

التفكّر عبادةٌ عظيمةٌ دعانا إليها المولى سبحانه وتعالى ومدح أصحابها.

ومن التفكّر الذي أُمرنا به التفكّر في (النعم)، فالتفكّر في نعم الله يورث رضاً في القلب وحتماً يستنطق اللسان بالحمد والذكر للمُنعم ذي الجلال والإكرام، ويستوجب من بعد ذلك الشكر بالأفعال لهذه النعم باستعمالها فيما يرضي مُوهبها لا فيما يسخطه، ومن تفكر بالجِنان وشعر بالامتنان وحمد باللسان وشكر بالأركان فليبشر بالمزيد والمزيد من الإله المنّان..

(إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)

(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنيٌ كريم)

(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

فبالشكر تدوم النعم بل وتزداد، وبالكفر تزول النعم وتحل النقم..

(فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)

(واشكروا لي ولا تكفرون)

(واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون)

الخاطرة الثامنة: التوفيق

(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

أيها الطبيب المؤمن لا تنس حقيقة (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً)

فلا تعتقد أنك تشفي مريضاً بعلمك أو بحولك وقوتك، إنما خلقك الخالق الباريء بقدرته مخلوقاً ضيعفاً جاهلاً لا يعلم شيئا ثم علمك العليم الحكيم بعلمه علماً ليُسخّرك في أن تكون سبباً فيما يريده هو سبحانه في دار الابتلاء، فإن أراد سبحانه وتعالى شفاء مريضٍ قد ابتلاه بمرض ما بعلمه وحكمته – كأن يجزيه ثواباً أو يكفر عنه سيئاتٍ – ثم أراد سبحانه وتعالى بعلمه وحكمته أن يجزيك ثواباً أو يكفر عنك سيئاتٍ جعلك سببا في شفاء هذا المرض – بإذنه هو الشافي سبحانه وتعالى –.

فإنما أنت الطبيب مخلوقٌ مثل ذلك المريض الذي بين يديك، فأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً ولاموتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فالهواء الذي تتنفسه مثلاً، أأنت من يدخله إلى رئتيك ويخرجه؟! (كلا بل هو الله العزيز الحكيم)، وقلبك الذي ينبض كل ثانيةٍ أو أقل من ذلك، أأنت الذي تقبضه وتبسطه؟! (كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

(أفرأيتم ما تُمنون * أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالم وننشأكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النّشأة الأولى فلولا تذكّرون)

فلولا تذكّرون؟! لماذا لا يتذكّر الإنسان أصله وأنه لم يكن شيئاً مذكوراً؟! خلقه الله من ماءٍ مهينٍ، ثم جعله نطفةً في قرارٍ مكينٍ، ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد..

الطبيب المؤمن هو من يستشعر ضعفه كإنسانٍ أولاً ثم ضعفه كطبيبٍ ثانياً حينما علم تكوين جسمه، الطبيب ذو البصيرة مع البصر علّمه الله ما يدور في جسمه من دقة الصنع وإعجازه، كل خلية بل نواتها وما داخل هذه النواة الصغيرة من أحماض نووية ومركبات لا تُرى بالعين المجردة، وكل نسيج وكل عضو على مستوى التشريح والوظيفة، ابتداءً من رأس الإنسان وعقله مروراً بوجهه وحواسه الخمس من عينين ولسانٍ وشفتين، ودمه الذي يحوي ملايين الخلايا التي صُنعت بدقةٍ وإعجازٍ، وإن زادت أو نقصت يمرض الجسم! وكيف أن هذا الدم يجري بكل انسابية في شرايين الجسم وأوردته، والقلب والرئتين والعظام والعضلات والجلد والشعر، كيف خُلق الجهاز العصبي بهذا التناسق؟ بل كيف يتحرك الإنسان؟ والغدد في الجسم وزيادة أو نقص أحد هرموناتها ولو مليمترات مكعبة يُحدِث خللاً في وظائف الجسم وقد يودي بحياة الإنسان!

ماذا عسانا أن نعدد من نعم الله ونحصيها وهي لاتعد ولا تحصى؟ وماذا عسانا أن نقول ونحن لم نُؤتى من العلم إلا القليل؟ فحتى روحنا لا نعرف ماهيتها ولا كيفيتها؟ سبحانه خلقنا ثم أغدق عليه من سحائب كرمه ولطفه بالنعم وبالعلوم لنتفكر ونخشى، ولنعلم أن هناك إلهاً عظيماً لهذا الكون، إلهاً واحداً تعالى في أسماءه وصفاته تعالى علواً كبيراً، إلهاً لم يُعبد حق عبادته ولم يُقدّر حقّ قدره، إلهاً أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، إلهاً أحقّ أن يُخشى ويُطاع في

أوامره ونواهيه، إلها أحقّ أن يُحكّم شرعه ومنهاجه الذي شَرَعه بعلمه النافذ وحُكمه السابق للغيب، أليس من أكفر الكفران أن يخلق ويكون الأمر لغيره من خلقه؟ (ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين)

والحقيقة أنه لن يبلغ الخلق ضره سبحانه وتعالى فيضروه ولا نفعه فينفعوه، إنما مخالفة شرعه هي ضررٌ على البشرية نفسها، لأنها كفرت وخالفت خالقها مولاها الذي كلّفها بعبادته وسخر كل شيءٍ في هذا الكون من أجلها وفضّلها على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً..

وأين الإنسان الضعيف من خلق السماوات والأرض؟ وأين هو من الشمس والقمر والكواكب والنجوم؟ (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

إذا علم الطبيب ذلك كله ثم لم يستشعر – ولو في لحظة ما – أنه يُشخّص الداء ويكتب الدواء بإلهام الله وتوفيقه فللأسف الشديد فقد أبصر منه بصره ولكن عميت بصيرته.

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)

الخاطرة التاسعة: النوايا الصالحة للطبيب

مهنة الطب مسؤوليةٌ كبيرةٌ وتكليفٌ صعبٌ تحتاج إلى الاجتهاد الدائم والصبر الطويل والتضحيات المتواصلة، لكن كل تلك الصعوبات والمسؤوليات يمكن التغلب عليها بالإخلاص لله، والاستعانة به، والتوكل عليه، وتقواه، واستحضار مراقبته، وتذكّر حسابه، والاستكانة له، ودوام دعاءه، وطلب التوفيق منه، بعد كل ذلك تنتقل هذه المهنة من كونها تكليفاً شاقاً إلى كونها شرفاً كبيراً، فهي ترفع شعار العلاج لأكرم مخلوقات الله، وذلك باتخاذ الأسباب بالعلاج والتوكل على الله فهو الشافي وحده لاشريك له..

وعندها تفتح هذه المهنة أبواباً لا حصر لها للدخول في رحمة الله وجناته - باستحضار النوايا الصالحة وتعددها قبل العمل - بالكلمات الطيبة، والأخلاق الحسنة، وتفريج الكربات، ودفع البليات، والصدقات الجارية بعد الممات، من تعليم ونشر الخيرات، وشفاء المرضى لإقامة العبادات، وغيرها من أبواب الخير التي تحتاج للوقوف عندها كثيراً والتأمل في فضلها لتكون حافزاً للسير في هذا الطريق الطويل حتى لقاء الله عز وجل..

هذا وينبغي الحذر كل الحذر من الغش، والتدّليس، وشهادة الزّور، وأكل المال الحرام، والكذب، والخداع، والمكر، وتضييع الصلوات..

فالمؤمن لا يتخذ إلهه هواه ولا ينسى لقاء ربّه وأنه مُطّلع عليه شاهد على أقواله وأفعاله - بل وما توسوس به نفسه - ولنحاول جاهدين أن نضع هذه الآيات دائماً نصب أعيننا:

(وكفى بربك هادياً ونصيراً)

(وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً)

(وكفى بالله وكيلاً)

(وكفى بالله شهيداً)

(وكفى بالله حسيباً)

" اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك "

(ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

الخاطرة العاشرة: التواضع

إذا كنت عالماً في الطب جاهلاً بأساسيات دينك، فأنت في الحقيقة جاهلٌ..

وإذا كنت عالماً في الطب متكبراً على المرضى، فأنت في الحقيقة وضيعٌ..

وإذا كنت عالماً في الطب متخذا إياه تجارةً في المرضى، فأنت في الحقيقة حقيرٌ..

وإذا كنت عالماً في الطب معتقداً أنك حُزت على علمك بمجهودك فقط، فأنت في الحقيقة فاشل..

وإذا كنت عالماً في الطب، وتحقد على زملائك الأطباء، فأنت في الحقيقة مريضٌ..

فالخُلق قبل العلم، والروح قبل المادة..

وإذا رأيت من هو أقل منك في الأدب أو الدين أوالعلم أو المال، فاحذر العُجب والكبر واحمد الله على فضله واسأله المزيد..

فكم من نعمةٍ ونجاحٍ في ظاهرها؛ هي وبالٌ وخسرانٌ بأعمال قلوب أصحابها..

ومن نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره..

(فمن زُحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)